المحاضرة الثالثة: السياسة التعليمية الإستعمارية ما بين 1914 -1962

عرفت هذه المرحلة تطورات تاريخية نتيجة الأحداث التي عرفها العالم وأبرزها قيام الحرب العالمية الأولى، كما عملت الإدارة الاستعمارية على توسيع التعليم الإستعماري رغم انعكاسات الأحداث التي عرفها العالم والجزائر على هذه السياسة.

1-واقع التعليم الاستعماري والإصلاحات مابين 1914-1920.

مع بداية الحرب العالمية الأولى تراجع حضور التلاميذ للمدراس، فكان أول من توقف عن الحضور هم أولاد الأعيان ثم تبعهم أطفال الفقراء الذين تذرعوا بما فعل الأعيان وأنّهم بحاجة إلى أولادهم للعمل كمساعدين، ووجد الإداريون أنفسهم أمام ظاهرة عزوف التلاميذ، فأصدرت الإدارة الإستعمارية قانون 16 جوان 1917 الذي أعلنت فيه إجبارية التعليم الإبتدائي بالنسبة للأطفال الأهالي الذين يبلغون سن الدراسة ويوجدون في دائرة لا تبتعد أكثر من 3 كلم عن المدارس الأهلية، هذا القانون بدا فعالا في بادئ الأمر فما بين 1917 -1918، حيث وصل عدد الذين بلغوا سنّ التمدرس 49000 من بين 850000 أي بنسبة 5.7% ممن كانوا يرتادون المدارس، ثم انخفضت نسبة الإقبال المدرسي بسبب الأزمة الإقتصادية ولم تستعد مستواها إلا في 1923 بعد تغير نشاط النضال وتدعم العمل الثقافي[1].

وأصدرت فرنسا إصلاحات 1919 التي تضمنت شروطا تعجيزية لمنح الجنسية الفرنسية مثل الخدمة العسكرية في فرنسا،معرفة القراءة والكتابة باللغة الفرنسية، كما نص القانون أنّه من الضروري على المصوتين الجزائريين أن يكونوا حاصلين على شهادة من أحد المعاهد الفرنسية، جاء هذا القانون خدمة للغة الفرنسية، وتجسيد دور المدارس الفرنسية في مستقبل الجزائريين أي من لم يدرس لا يمكن له الحصول على حقوق المواطنة بالمفهوم الفرنسي[2].

وفي المقابل نجد أن فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى عرف فيها التعليم العربي إنطلاقة جديدة بفضل نمو الوعي الوطني، فطالب الزعماء الجزائريون برخص لفتح المدارس لتعليم أبنائهم، ومن أبرز المطالب الشعبية العمل على إحياء التعليم العربي بإنشاء مؤسسات تعليمية وتدعيم نشاط الزوايا التعليمي بهدف

---

[1].شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا،ج1، ترجمة: حاج مسعود وأ.بكلي، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007،ص 867- 868

[2].سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص ص273-274.

مواجهة التعليم الإستعماري وتشجيع معظم الجزائريين للتعليم الحر، إضافة إلى البعثات العلمية إلى البلدان العربية والتي كانت تتجه إلى جامع القرويين بفاس أو الزيتونة بتونس، أوالأزهر بالقاهرة[3].

2-تطور التعليم الاستعماري مابين 1921-1956:

خلال الفترة الممتدة ما بين 1921-1931 عرف التعليم الإبتدائي الإستعماري تقدما بطيئا حيث تراجع عدد التلاميذ في التعليم العمومي، وبقيت فعالية هذا التعليم ضعيفة، وربما يعود ذلك إلى إكتظاظ الأقسام وعدم مثابرة التلاميذ، وتناقص الإعتمادات الخاصة بالتعليم خلال سنوات الحرب وبالأخص المخصصة للمدارس الأهلية، فقد كانت كل المبالغ والإمكانات لصالح المجهود الحربي، ونتيجة للضغط على الحكومة الفرنسية فقد تم رصد المال من ميزانية الجزائر التي يصوت عليها المجلس المالي، كما أنّ التعليم الأهلي أصبح من مسؤولية الحكومة[4].

واستمرّت السياسية التعليمية الإستعمارية في تنظيم وإصدار مراسيم تضمنت إصلاحات ووضعت بجانبها شروط يصعب تحقيقها، حيث صدر مرسوم 1939 الذي اعتبر اللغة العربية أجنبية على البلاد ومنع تدريسها، كما تضمن منع فتح مدارس لتعليم العربية، ونتيجة للضغوطات الوطنية الجزائرية قامت السلطات الإستعمارية بإصدار أمرية في 7 مارس 1944 التي نصت في الجانب التعليمي على أنّ لجميع الأطفال الجزائريين الذين بلغوا سنّ الدراسة لهم الحق في التعليم، وتم صياغة برنامج للتمدرس يمتد على عشرين سنة يتم خلالها إنجاز 2000 قسم حتى سنة 1965، وشرع العمل على تطبيق هذا البرنامج في نوفمبر 1944 حيث أنجزت عدة مدارس وأقسام وثانويات وارتفع عدد التلاميذ المتمدرسين حيث قدر سنة 1944 بـ 110000ألف تلميذ بنسبة 8.8% ووصل عدد التلاميذ سنة 1954 إلى 302000 تلميذ بنسبة 14.6 %، ورغم ذلك فقد بقيت الفوارق بين التعليمي الأهلي والأوروبي بارزة ضمن مسار السياسة التعليمية الإستعمارية، وخلال الثورة التحريرية حاول الإستعمار الفرنسي اتباع سياسة تعليمية من خلال مخطط تعليمي تبناه الجيش الإستعماري سنة 1956، حيث تشير الإحصائيات إلى وجود

---

[3].روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة ، ص 114.

[4].سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3،ص 360.

حوالي 300 قسم متنقل في قرى وأرياف الجزائر يتردد عليها حوالي25000 تلميذ من الأهالي، و418 عسكري تم تكوينهم في فترة قصيرة [5].

ومع تعدد المشاريع الإستعمارية الفرنسية في المجال التعليمي إلاّ أّنها خسرت الرهان أمام التحديات التي فرضتها الثورة التحريرية، رغم أهدافها التي رسمتها ضمن مخططاتها التعليمية والتي استهدفت الفئات الإجتماعية أمام اقتناع السكان بأنّ التعليم الإستعماري لا يغير من الوضع العام شيئا، وفي المقابل نجد أنّ الحركة الإصلاحية والثورة التحريرية نجحت في تجنيد مجموعة كبيرة من خريجي المدارس الفرنسية واستفادت من تكوينهم في القيام بالمهام الوطنية والحضارية وبناء الدولة الجزائرية

[5].عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية،ط2، الجزائر،2016، ص 121.